ألا إن سلعة الله غالية

الجنة

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم وهدى والصلاة والسلام على نبي الهـــدى وآله وصحبه ومن اهتدى. وبعد:

أخي المسلم: هل تعلم الغاية التي من أجلها خلقك الله تعالى؟! إنها العبادة بمفهومها الواسع من تذلل وخضـــوع وإنابـــة ورجـــاء وخوف وتوكل.

أخي الحبيب: لقد وعدك الله تعالى على ذلك خـــير موعـــود: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْــوَالَهُمْ بِــأَنَّ لَهُــمُ الْجَنَّةَ...**﴾ [التوبة: ١١١].

أفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظيم مقدارها، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها مـــن هـــو وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى منْ جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها والـــثمن لهـــا جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

قـــد هيـــؤوك لأمـــر لـــو فطنـــت لـــه
فاربـــأ بنفســـك أن ترعـــى مـــع الهمـــل

(حادي الأرواح/ ابن القيم)

أخي الحبيب: إذا كان يوم القيامة كان الناس فريقين:﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُــمْ**

مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[فاطر: ٧].

وصف الله عذابه بأنه شديد. أخي: وقاني الله وإيـاك شـدة عذابه. أخي هل فكرت في هذه الكلمة ما أشدها علـى النفـوس الرقيقة، فتعمل الصالحات لتتقي شدة عذابه فتنال ما وعدها رهما من المغفرة والأجر الكبير، فياله من أجر لا يعلم عظمه ومقدراه إلا الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**». قال رسول الله ﷺ : "اقرؤوا إن شئتم: «**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين..**» [رواه البخاري].

أخي الحبيب رزقني الله وإياك حسن الخاتمة: إنهـا سـلعة الله الغالية!! إنها الجنة؟

"ولما علم الموفقون ما خُلقوا له وما أريـد بإيجـادهم رفعـوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمّروا إليـه وإذا صـراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر في أبـد لا يزول ولا ينفد بصبابة؛ إنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام مشوب بالنغص ممزوج بالغصص إن أضحك قلـيلا أبكـى كثيرا، وإن سر يوما أحزن شهورا آلامه تزيد على لذاته وأحزانـه أضعاف أضعاف مسراته أوله مخاوف وآخره متالف..".

[حادي الأرواح ابن القيم]

أخي الحبيب: إنها جنة تزخرفت لخطابها وطالبيها فـاحرص أن تكون من أهلها. "فواعجبا لها كيف نام طالبها وكيف لم يسـمح

بمهرها خاطبها وكيف طاب العيش في هذه الـــدار بعـــد سمـــاع أخبارها، وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيـــف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفـــس المـــوقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين..". [حادي الأرواح/ ابن القيم]

* * * * *

وصف الجنة

أخي: وفقني الله وإياك: إن قيمة الشيء تعرف بمعرفته ووصف الجنة مما لا تحيط به البصائر.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: "شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قـــال في آخـــر حديثه: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» ثم قرأ هذه الآية: «﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْـــسٌ مَـــا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَـــا كَـــانُوا يَعْمَلُـــونَ**﴾» [رواه مسلم].

وسأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن صفة الجنة فقال: «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها** (الملاط: ما يوضع بـــين اللبنتين) **المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ واليـــاقوت وتربتـــها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا يبلـــى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**» [رواه أحمد والترمذي والدرامي].

هـــي جنـــة طابـــت وطـــاب نعيمهـــا
فنعيمهـــــا بـــــاق ولـــــيس بفـــــان
دار الســــــلام وجنـــــــة المـــــأوى
ومنـــزل عســـكر الإيمـــان والقـــرآن
فالـــــدار دار ســـــلامة وخطـــــابهم
فيـــا ســـــلام اســـــم ذي الغفـــران

[النونية/ ابن القيم]

فيا لسعادة من دخلها وبالهناء من فاز بنعيمها ويا لحظوة مـــن تقلب في أرجائها.

بشرى خير أو شر

أخي الحبيب: لطف الله بي وبك: إن العبد إذا فارق الدنيا علم مقعده من الجنة إن كان من أهلها أو مقعده من النار إن كان مـــن أهلها، فيا لتعاسة من رأى مقعده من النار إن كان من أهلها، ويـــا لسعادة من رأى منزله من الجنة ويا لهنائه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رســـول الله ﷺ قـــال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**» [رواه مسلم].

أخي: عندها يحمد أهل العافية ما كانوا عليه في الـــدنيا مـــن العمل الصالح ويتحسر ويندم أهل الشقاء.

أخي الحبيب جعلني الله وإياك من أهل السعادة.

ما أعظمه من فوز

أخي: أعرني سمعك قليلا: أرأيت وأنت في دار الدنيا إذا أتـــاك الخبر الذي تحبه فرحت وانبسطت أسارير وجهـــك، وإذا كانـــت الفرحة عارمة كدت أن تخرج من جلدك، فكيف أخي: بمن جاءته البشرى من ملائكة الرحمن أنه من أهل الجنة؟! ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَـــالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠]. فما أحلاها من فرحة وما أسعدها من لحظات للمؤمنين: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُـــوَ الْفَـــوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٧٢]. ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُـــرُورِ**﴾ [آل عمـــران: ١٨٥]، ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـــارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.

الخلود في الجنة

أخي الحبيب ثبتني الله وإياك على دينه: إن من منن الله تعـــالى العظيمة على أهل الجنة أن كتب لهم الخلود في جنانه، فإن الإنسان بطبعه لا يحب زوال النعمة؟ وكانت دار الدنيا دنيئة رخيصـــة لأن نعيمها زائل ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: ١٣١].

لذلك إذا كان يوم القيامة نادى منادي الرب سبحانه وتعالى: «**إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيـــوا فـــلا تموتوا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعمـــوا فـــلا تبتئسوا أبداً فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُـــمُ الْجَنَّـــةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**» [رواه مسلم].

فما أسعدها من لحظات للمتقين **﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾** [الـــدخان: ٥٦]. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـــاتُ الْفِـــرْدَوْسِ نُزُلًا*خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَـــا حِوَلًـــا﴾** [الكهـــف: ١٠٧ - ١٠٨].

أخي الحبيب: عندما يدخل أهل الجنة الجنة ويشاهدوا ما فيهـــا من النعم التي لا توصف؛ يتذكرون الموت هادم اللذات فتنقـــبض نفوسهم لذلك، فينادي منادي الله تعالى لأهل الجنة ولأهل النـــار فيشرفون للمنادي فإذا بكبش يقدم بين الجنة والنار فيقال لهم: هذا الموت ثم يقدم فيذبح ثم يقال: "يا أهل الجنة خلود فلا موت ويـــا أهل النار خلود فلا موت".

فيرجع أهل الجنة فرحين مستبشرين إذ زال ما ينغص عيشـــهم ويؤرقهم ويرجع أهل النار بشر حال في العذاب الشديد وقـــاني الله وإياكم أحبتي شر ناره. فوا لهفي أخوتي: من نار تأججت ومن جنة للمؤمنين تزخرفت.

صفة الجنة

أخي الحبيب رزقني الله وإياك الزهادة في الدنيا: إن الجنة دار لا ككل دار وقرار لا ككل قرار ومسكن ما أطيبه من مسكن مـــتعني الله وإياك بالقرار فيها، فهي غاية الغايات وأكمل الأمنيـــات مـــن دخلها نسي كل نعيم ومن لم يدخلها فقد كل نعيم.

وإليك أخي الحبيب عيون من وصف بعض ما فيها من تربـــة وأنهار وعيون ومساكن وأبواب ونور وريح وثمار وطعام وخمـــور ولباس وفرش ولذات فاقت كل لذة. فهنيئا لمن استقر بتلك المعـــالم ونزل تلك الربوع.

تربتها

أخي الحبيب: إن أهل الجنة يطأون تربة ترابها المسك الأذفـــر وحجارتها وحصباؤها اللؤلؤ، ففي حديث المعراج عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أدخلت الجنة فإذا فيها جنادل اللؤلـــؤ وإذا ترابها المسك**» [رواه البخاري ومسلم]. فيا سعادة قدم وطئت تربتها.

أنهارها

أخي رحمني الله وإياك: إن الأنهار في الدنيا حياة للناس يحيون بها من الظمأ وزينة وراحة، يرعون بمائها أنواع الزروع ثم ثمار وأشجار فيها غذاؤهم وظلهم من الحر.

ولكن أنهار الجنة فوق ذلك: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**

فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَــفًّى...﴾ [محمــد: ١٥].

وقال ﷺ : «**إن في الجنة بحر العسل وبحر الخمر وبحر اللــبن وبحر الماء ثم تنشق الأنهار بعد**» [رواه الترمذي والدارمي].

وقال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [البقرة: ٢٥] وقــال تعــالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ**﴾ [الكهــف: ٣١].

أخي الحبيب: لطف الله بي وإياك: هل تعلم أن من أنهار الجنـــة نهرا أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ ترده أمته يوم القيامة فمن كان مـــن أهل الصلاح والإتباع شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ومن كان من أهل الشقاوة ذادته الملائكة عنه فلا يشرب منه شـــيئاً. قـــال ﷺ : «**أعطيت الكوثر فإذا نهر يجري على ظهر الأرض حافتاه قبـــاب اللؤلؤ**» [رواه أحمد]. وفي رواية: «**هو نهر أعطانيه الله في الجنـــة ترابه مسك ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طيـــور أعناقها مثل أعناق الجزور**» [رواه أحمد].

فوا لهفي على شربة منه يوم الفزع الأكبر تروي في عرصـــات القيامة وتقي الظمأ إلى الأبد، وأعاذني الله وإياك أخي الحبيـــب أن نكون ممن يذادون عن حوض نبينا ﷺ فيا لشقاء من كان هذا حاله ومن تبرأ منه النبي ﷺ قائلاً: «**سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي**».

أنهارهــا مــن غــير أخــدود جــرت
ســبحان ممســكها عــن الفيضــان
مــن تحتــهم تجــري كمــا شــاؤوا
مفجــرة ومــا للنــهر مــن نقصــان

[النونية، ابن القيم]

كيف بك أخي الحبيب بأقوام يتمتعون بأنهار الجنة قبـل يـوم القيامة؟!! وهم الشهداء!! قال النبي ﷺ : «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكـرة وعشـيا**» [رواه أحمد والطبراني والحاكم]. جعلنا الله وإياكم أحبتنا ممن يردون هذه الأنهار ويتقلبون في نعيمها.

عيـــونها

أخي الحبيب: إن من كمال النعم التي أعطاهـا الله لعبـاده في الجنة تلكم العيون التي يفجرها لهم زيادة في المتعـة واللـذة ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ [الإنسان: ٥ – ٦]. ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨]. ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**﴾ [الإنسـان: ١٧ – ١٨]، فيا لها من لذة ويا لها من نعم متتالية: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي**

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [الحجر: ٤٥]، **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾** [المرسلات: ٤١].

مساكنها

أخي الحبيب وفقني الله وإياك: إن مقيل الجنة ليس مثله مقيل ومساكنها ما أبهاها وأطيبها من مساكن **﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** [التوبة: ٧٢]، **﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾** [الفرقان: ٧٥]، **﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾** [الزمر: ٢٠].

وقال ﷺ : «**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام**» [صحيح الجامع الصغير/ الألباني]. وقال ﷺ : «**إن للمؤمنين في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا**» [رواه مسلم].

فانظر أخي هداني الله وإياك إلى هذا النعيم وما لا يدرك كنهه إلا الله تعالى.

أبوابها

أخي الحبيب أخذ الله بقلبي وقلبك أخي الحبيب أخذ الله بقلبي وقلبك إلى سبل الهداية: إن للجنة ثمانية أبواب أعدها الله لأوليائه كما أخبر النبي الصادق ﷺ قال تعالى: **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ**

الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، **﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَاب * سَـــلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

أخي الحبيب: كيف بك لو دعيت من أبوابها!! بل من بـــاب واحد، ولكن أولياء الله تسمو نفوسهم إلى الاستزادة من نعـــم الله وفضله، فهذا الصديق أبو بكر رضي الله عنه عندما ذكر الـــنبي ﷺ أبواب الجنة قال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبـــواب كلها ؟: قال : «**نعم وأرجو أن تكون منهم**» [متفق عليـــه]، لله درك يا أبا بكر ورضي الله عنك هكذا أحبتي همم الصالحين، بينما يفكر غيرهم في نيل لذات الدنيا وحطامها الفاني يفكرون في النعيم الباقي والدرجات العالية فما أشرفها من همة.

أخي الحبيب: هل فكرت يوما في سعة هذه الأبواب وكثرة من يردها من الناس جعلني الله وإياك في ذلك الجمع.

قال النبي ﷺ : «**والذي نفس محمد بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة أو ما بين عضادتي الباب كما بين مكة وهجـــر أو كما بين مكة وبصرى**» [متفق عليه].

وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: لقد ذكر لنا أنَّ ما بين المصارعين من الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يـــوم وأنـــه لكظيظ من الزحام. مشكاة المصابيح.

نور الجنة

أخي الحبيب: إن نور الجنة ليس كالنور والضياء الذي نعرفه بل هو فوق ذلك كله وأعلى من أن نتخيله قال القرطبي: "قال العلماء وليس في الجنة ليل ونهار وإنما هم في نور دائم أبدا وإنمـــا يعرفـــون مقدار الليل بإرخاء الحجاب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب. ذكره أبو الفـــرج ابـــن الجـــوزي" [التذكرة].

وقال ابن تيمية: "والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليـــل ولا نهار لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش" [مجموع الفتاوى].

فهنيئا لمن أبصر بذلك النور وتأمل بذلك الضياء، جعلنـــا الله وإياكم أحبتنا منهم.

ريحها

أخي الحبيب: ريح الجنة يجدها المتقون منذ أن فارقوا هذه الدنيا فيأتيهم من روحها وريحانها في قبورهم ما ينســـيهم كـــدر الـــدنيا ونعيمها الزائل.

قال ﷺ : «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً**» [رواه أحمد والنسائي وابـــن ماجة والحاكم].

فيا لشقاء من حرم ريحها وريحانها ويا لهناء من استنشق روحها

وريحالها. بل إن أولياء الله الصادقين يحسون بريحها في الدنيا كـــأنهم يستنشقونه حقيقة أما رأيت أنس بن النضر بن مالك رضي الله عنه قال يوم أحد لسعد بن معاذ رضي الله عنه: "يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد" فقاتل رضي الله عنه حتى قتل. فهنيئا لأصـــحاب هذه البصائر، أبصروا إذ عمى الناس واهتدوا إذ ضل الناس، فرضي الله عن أنس وإخوانه الذين تزخرفت الجنة للقياهم وتزينت للقائهم جمعنا الله وإياكم أحبتنا بهم في دار كرامته.

أشجارها

أخي، رزقني الله وإياك الزهادة في الدنيا.. ما أحلى وأشهى ثمار الجنة، وما أورق ظلالها وما أجمل حدائقها ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَـــازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا**﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٢]. ﴿**فِيهِمَا مِنْ كُـــلِّ فَاكِهَـــةٍ زَوْجَانِ**﴾ [الرحمن: ٥٢]. ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْـــتَهُونَ**﴾ [المرســلات: ٤١ – ٤٢]، ﴿**وَفَاكِهَـــةٍ مِمَّـــا يَتَخَيَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٢٠]، ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَـــةٌ وَنَخْـــلٌ وَرُمَّـــانٌ**﴾ [الرحمن: ٦٨]، ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَـــدْعُونَ فِيهَـــا بِفَاكِهَـــةٍ كَـــثِيرَةٍ وَشَرَابٍ**﴾ [ص: ٥١].

أخي الحبيب: إنَّ ثمر الجنة لا مشقة في التقاطه، فمتى ما اشتهيته دنا منك حتى يصبح في متناول يدك، لا شوك يؤذيك إذا التقطتـــه ولا يتأبى عليك ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَـــذْلِيلًا**﴾ [الإنســـان: ١٤]، ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَـــى الْجَنَّتَـــيْنِ دَانٍ** ﴾ [الرحمن: ٥٤].

فيا لها من لذَّة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَـــرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَـــا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. أما الظل فمـــا أورفه من ظلٍّ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ سَـــنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقال النبي ﷺ : «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة ســـنة واقـــرءوا إن شئتم**» ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [رواه البخاري].

طعامها

أحبتي: يكفيكم في وصف طعامها وما أعدَّه الله لأوليائه مـــن المطاعم الفاخرة أن الله تعالى قال عن ذلك: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِـــدُونَ﴾ [الزخـــرف: ٧١]، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢١ - ٢٢]، وفي وصف الكوثر قال ﷺ : «**فيه طير أعناقها كأعناق الجـــزر**» (الإبل) قال عمر: "إنَّ هذه لناعمة" قال رسول الله ﷺ : «**أكلتـــها أنعم منها**» [رواه الترمذي].

فيا لها من لذَّة فاقت كل لذَّة! ويا له من شبع للجائعين في الله وللزاهدين في ملذات الدنيا الفانية! يأكلون أشهى المطاعم ويشربون أحسن المشارب، وأهل النار يأكلون الزقوم ويشربون من الحمـــيم،

أعاذني الله وإياكم من هذه الحال.

أعزائي: تفنى الدنيا وتفنى لذاها من طعام وشراب، بل إن لذة الطعام والشراب في الدنيا لتزول قبل بلعه ثم تخرج قذرا!.. أين هذا من لذة طعام الجنة وشراها؟ فهي لذَّة لا تزول وترشح أجســامهم من فضلاها طيبًا ومسكًا، فوا لتعاسة المحرومين! ويا لشقاء المجرمين!

خمورها

إخوتي أحبائي: إن من فضائل الله المتابعة علــى أوليائــه أن جعلهم ينتشون من خمور الجنة جزاء لهم وفاقا على طاعتهم لــرهم في تحريمه لخمر الدنيا، وشتان ما بين الخمرين! فخمر الدنيا كريهــة مرَّة مسقمة للأبدان سالبة للعقل، لذها ناقصة وشرها كثير أما خمر الجنة فطيبة جميلة لذيذة لا يصيب شارها ألم ولا مرض لذها كاملة. **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾** [الصافات: ٤٥ - ٤٧].

فيا لذة الشاربين لها المنتشين لكؤوسها، ويا لســعادة الــذين صرفوا أنفسهم عن خمور الدنيا ورشفوا من كؤوس دار البقاء.

لباسها

أخي في الله: يكفيك في فضل لباس أهل الجنة أنه لا يُبلــى ولا يُصيبه ما يصيب ثياب أهل الدنيا من بلى وتمزق قــال الــنبي ﷺ : **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شــبابه»** [رواه مسلم].

فهي أجمل الثياب وأغلاها لا يحيط بوصفها بصـــر: ﴿**جَنَّـــاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [فاطر: ٣٣]. ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُـــنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْـــمَ الثَّـــوَابُ وَحَسُـــنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٣١].

ويحلون فيها بأنواع الذهب والفضة واللؤلؤ فيزيـــدهم ذلـــك جمالاً وبهاءً ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُـــهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ [الإنســـان: ٢١].

فيا لها من زينة! ويا له من هندام ما أحلاه!

فراشها

أخي الحبيب متعني الله وإياك بالجنة:

يتقلب أهل الجنة ويتكئون على أوثر اللحف والوسائد والسرر لا يشكون تعبًا ولا نصبًا وهم يقولون: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فـــاطر: ٣٥]، ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْـــتَبْرَقٍ...**﴾ [الـــرحمن: ٥٤]، ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ [الـــرحمن: ٧٦].

والرفرف: رياض الجنة وقيل: نوع من الثيـــاب، والعبقـــري: البسط الجياد، فيا لها من لذات تتابعت ومن نعم تكاملت.

أسواقها

أخي عزيزي: يتسوَّق أهل الجنة، ويتحدَّثون في كـــلِّ جمعـــة، ويلقى الأحبة بعضهم بعضًا فتكتمل الفرحـــة بجمـــع الشـــمل، ثم يرجعون إلى أهليهم فرحين مسرورين، وفي الحديث: فيســـتقبلهم أهلوهم ويقولون لهم: «**والله لقد ازددتم بعدنا حُســـنًا وجمـــالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالاً**».

فيا لها من فرحة! ويا لها من ساعات يشمر المشمرون من أجل نيلها!

أزواج أهل الجنة

أخي الحبيب: هنا تكتمل الفرحة، ويلتقي أهل الجنة بأزواجهم من الحور العين ﴿**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾ [الدخان: ٥٤]. ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [الرحمن: ٥٦ – ٥٨]. ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥]. مُطهَّرات: من الحيض والنفاس والبصاق والمخـــاط والبـــول والغائط.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إن أزواج أهل الجنة ليغـــنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط إن ما يغنين: نحـــن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، وينظرن بقُرَّة أعيان وإن ممـــا يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنـــه نحـــن المقيمات فلا يظعنه**» [صحيح الجامع الصغير/ الألباني].

أما المؤمنات الصالحات فإهن لآخر أزواجهنَّ في الـــدنيا، وفي الأثر عن حذيفة رضي الله عنه، قال لزوجته: "إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي؛ فإن المــرأة في الجنــة لآخــر أزواجها في الدنيا" [سلسلة الأحاديث الصحيحة/ الألباني].

وفي الحديث "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا" [صحيح الجامع/ الألباني].

يـــا خاطـــب الحـــور الحســـان وطالبـــا
لوصـــــــالهنَّ بجنـــــــة الحيـــــــوانِ
لـــو كنـــتَ تـــدري مـــن خطبـــتَ
ومن طلبتَ بذلت ما تحـــوى مـــن الأثمـــان
أو كنت تدري أيـــن مســـكنها جعلـــت
الســـعي منـــك لهـــا علـــى الأجفـــان

[النونية/ ابن القيم]

الجنة درجات

أخي الحبيب وفقني الله وإياك لطاعته، إن الله تعالى عندما خلق الجنة جعلها درجات كما أنَّ النار دركات، فأهل الجنة يتفاضـــلون في الدرجات بتفاضُلهم في الأعمال ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَـــهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِـــيلًا**﴾ [الإســـراء: ٢١]، "إنَّ أهل الجنة يتفاضلون بها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وإن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا" [ابن تيمية: مجمـــوع

الفتاوى].

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [سورة طه: ٧٥]

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى مـــن الـــذين دوهم، فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافونه جنتين **﴿وَلِمَنْ خَــافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾** ووصفهما ثم قال: **﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَــانِ﴾** أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة [القرطبي/ التذكرة].

أخي الحبيب: احرص أن تكون من أهل الدرجات العلى، فإنَّ الناس في أمور الدنيا دائمًا يسعون للكمال، فكيف بالدار الباقيـــة حيث النعيم الذي لا يزول؟!

ويـــرى الـــذين بذيلـــها مـــن فـــوقهم
مثـــــل الكواكـــــب رؤيـــــة ببيـــــان
مــــا ذاك مُختصًّـــــا برُســـــل الله بـــــل
لهـــــــم وللصــــــــديق ذي الإيمـــــــان

[النونية/ ابن القيم]

قال ﷺ : «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغــرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله، تلك منــازل الأنبيــاء لا يبلغها غيرهم؟! قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بـــالله وصدقوا المرسلين**» [رواه البخاري ومسلم].

لذلك أحبتي، علَّمنا النبي ﷺ إذا سألنا الله تعالى الجنة أن نسأله أعلاها «**فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنــه تفجــر أنهــار الجنــة**» [رواه البخاري].

أخي الحبيب: ما أحلى دخول الجنة ولا أسـعد ممـن نـال فردوسها الأعلى بلغنا الله وإياكم أحبتنا ذلك برحمته وكرمه.

اللذَّة الكبرى

إخوتي أحبائي: بقيت لذَّة من أجلها شمر المشمرون واجتهد المجتهدون، وتسابق لنيلها أصحاب الهمم العالية من أولياء الله، لـذَّة أنست أهل الجنة نعيمهم، فما وجدوا بعدها لذَّة أعلى منها قـال النبي ﷺ : «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقـول تبـارك وتعـالى: "تريدون شيئًا أزيدكم" فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تُـدخلنا الجنة وتُنجِّنا من النار؟ قال: فيُكشف الحجاب، فما أُعطوا شـيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم تبـارك وتعـالى**» [رواه مسـلم والترمذي].

وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿**لِلَّـذِينَ أَحْسَـنُوا الْحُسْـنَى وَزِيَادَةٌ...**﴾ وقال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

أخي الحبيب: رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخـرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو" [ابن الأثير/ جامع الأصول].

ولله أفـــــــراح المحـــــــبين عنـــــــدما
يُخاطبـــــهم مــــن فــــوقهم ويُســــلِّمُ
ولله أبصــــــار تــــــرى الله جهــــــرةً
فــلا الضــيم يغشــاها ولا هــي تســأمُ
فيــــا نظــــرة أهــــدت إلى الوجــــه
نضرة أمن بعــدها يســلو المحــب المتــيَّمُ

[الميمية/ ابن القيم]

أحبائي: شدوا الإزار لتبلغوا الدار، دار تتمتَّعون فيهـا برؤيـة الرب تبارك وتعالى،، وإياك أن تكون من المحجوبين؛ فإنَّ المـؤمنين يرَون رهم بحسب أعمالهم، فأهل الدرجات العليا أكثر رؤية لربهم عزَّ وجل من غيرهم، جعلنا الله وإياكم إخوتي من الفائزين برؤية الله تعالى، في دار القرار ناعمين هانئين بلقياه.

أُعدت للمتقين

أخي الحبيب: تأمَّل معي هؤلاء الآيات: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِـدَّتْ لِلْمُـتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُـوا فَاحِشَـةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَـا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

أحبتي: ما ترك الله تعالى شيئًا من جوامع الأعمال الصـــالحة إلاَّ وذكره في هؤلاء الآيات، وبقي علينا بعدها الجِدُّ والعمل.. السعيد من وُفِّق إلى هذه الأخلاق، والشقيُّ من حُرمها.

أحبتي: إنَّ جنة الله تعالى لا تُنـــال بالأمـــاني وفي الحـــديث: «**حُجبت النار بالشهوات وحُجبت الجنة بالمكاره**» [متفق عليه].

أحبتي: ألا إنَّ سلعة الله غالية ألاَّ إن سلعة الله الجنة، فمن جـــدَّ واجتهد لقي الله تعالى غدًا آمناً وسالماً.

متاع الدنيا قليل

أخي الحبيب: رزقني الله وإياك حسن الخاتمة، إنها الجنة، وقـــد علمت ما فيها من الخير الكثير والنعيم الدائم، فهي عزاء المؤمنين في الدنيا إذا عملوا لها، وبشراهم بعد الممات. ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيـــلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النساء: ٧٧]، ويكفي ذما للدنيا قولـــه ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيهـــا**» [متفـــق عليه].

يـــا ســـلعة الـــرحمن أيـــن المشـــتري
فلقـــــد عرضـــــت بأيســـــر الأثمـــــان
يا ســـلعة الـــرحمن هـــل مـــن خاطـــب
فـــــالمهر قبـــــل المـــــوت ذو إمكـــــان

[النونية/ ابن القيم]

أحبائي: لا تغرَّنكم الدنيا، وقد رأيتم فعلها بمن قبلكم، فهـــل

رأيتم نعيمًا دام فيها لأحد؟ وها هو الموت غادٍ ورائح، والسعيد غدًا من بشَّرته ملائكة الرحمن بالجنان والنعيم المقيم، والشقاء كلُّ الشقاء لمن بشَّرته ملائكة الرحمن بالنيران والعذاب المقيم، فهنيئًا لمـــن ودَّع الشقاء، «**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**»، وجمعنـــا الله وإياكم إخوتي في جنانه ومنازل كرامته.

والحمد لله أولاً وأخيرًا، والصلاة على نبينا محمد وآله وصحبه وسلامه.